فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب:
دراسة في القيمة العلمية لحاشية الطيبي(ت743هـ)

د. محمد حراز
أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
لجهة طنجة تطوان بالحسيمة
المملكة المغربية

الملخص:

يتمحور هذا المقال حول الكشف عن القيمة العلمية والمعرفية لحاشية الإمام شرف الدين الطيبي على "الكشاف" للزمخشري، باعتبارها واحدة من أهم المتون التفسيرية والبلاغية في التراث الإسلامي. يسلط البحث الضوء على براعة الطيبي في استثمار علوم اللسان والبلاغة القرآنية. كما تبرز الدراسة دور الحاشية في جسر الهوة بين الدراسات اللغوية والمقاصد العقدية، مع التركيز على المبادئ التداولية والمعرفية التي اعتمدها الطيبي في توجيه الخطاب. وينتهي المقال إلى إثبات أن "فتوح الغيب" ليست مجرد تعليق هامشي، بل هي مشروع نقدي متكامل يبرز عبقرية الطيبي في التحليل اللساني، وقدرته على استنطاق النص القرآني بأدوات بلاغية رصينة تظل ملهمة للدراسات اللغوية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: حاشية فتوح الغيب، شرف الدين الطيبي، تفسير الكشاف، القيمة العلمية للحاشية، أسرار النظم القرآني

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Futuh al-Ghayb fi al-Kashf 'an Qina' al-Rayb:

A Study on the Scientific Value of Al-Tibi's Commentary (d. 743 AH)

Abstract :

This research article delves into the profound scientific and cognitive significance of "Futuh al-Ghayb fi al-Kashf 'an Qina' al-Rayb," the celebrated super-commentary by Imam Sharaf al-Din al-Tibi on Al-Zamakhshari's "Al-Kashshaf." As one of the most vital rhetorical and exegetical texts in Islamic heritage, this study illuminates Al-Tibi's exceptional mastery in employing linguistic sciences and Quranic eloquence. The author explores how the commentary successfully bridges the gap between purely linguistic inquiries and profound theological objectives, utilizing pragmatic and cognitive principles to navigate complex discursive structures. The study argues that Al-Tibi's work is far from a mere marginal note; rather, it represents a comprehensive, integrated critical project. It showcases his genius in linguistic analysis and his unique ability to interrogate the Quranic text using robust rhetorical instruments. By examining Al-Tibi's methodology, the article demonstrates how his insights continue to serve as a vital source of inspiration for contemporary linguistic and rhetorical studies, offering a model for reconciling stylistic beauty with doctrinal precision in Quranic interpretation.

Keywords : Al-Tibi Futuh al-Ghayb, Quranic Rhetoric, Al-Kashshaf Commentary, Scientific Value of Al-Tibi, Secrets of Quranic Systems

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تمهيد:

يُعدّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي أعجزت الفصحاء وأذهلت البلغاء، فكانت علومه ولا تزال مَحطّ أنظار العلماء، ومن بين هذه العلوم برز "علم التفسير" كأجلّ العلوم قدراً وأعلاها شأناً. وفي تاريخ التأليف التفسيري، يبرز كتاب "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" للإمام الزمخشري (ت 538هـ) كمنعطف تاريخي حاسم؛ إذ نقل التفسير من حيز الرواية والأثر إلى فضاء الدراية والبلاغة، كاشفاً عن أسرار النظم القرآني وإعجازه البياني بطريقة لم يسبق إليه.

غير أن "الكشاف" –على عظمته– لم يخلُ من نزعات اعتزالية ومسائل عقدية خالف فيها مذهب جمهور أهل السنة والجماعة، مما جعل العلماء ينبرون لتهذيبه وشرحه والتعليق عليه، فظهرت "الحواشي" كأدوات نقدية وتحليلية تهدف إلى استخلاص الدرر البلاغية مع تنقية المتن من الشوائب العقدية.

وفي طليعة هذه الحواشي، بل وفي ذروة سنامها، تأتي حاشية "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب " للإمام العلامة شرف الدين الطيبي (ت 743هـ). لم يكن الطيبي في حاشيته مجرد ناقل أو شارح عابر، بل كان "غواصاً" في بحار المعاني، استطاع أن يفتح آفاقاً جديدة لفهم نص الزمخشري. وتتجلى القيمة العلمية لهذه الحاشية في كونها عملاً موسوعياً جمع بين التحقيق اللغوي، والتدقيق البلاغي، والانتصار العقدي لمذهب أهل السنة بأسلوب يتسم بالرصانة والعمق.

تأتي أهمية دراسة هذه الحاشية في وقتنا المعاصر لإعادة الاعتبار للمدرسة "الطيبية" التي أثرت في كبار المفسرين اللاحقين كالبيضاوي وأبي السعود والآلوسي. فالطيبي لم يقف عند حدود النص، بل تجاوز ذلك إلى بناء رؤية نقدية متكاملة، جعلت من "فتوح الغيب" مفتاحاً لا غنى عنه لكل من أراد ولوج عالم الكشاف وفهم أسرار الإعجاز.

إن هذا البحث يسعى لسبر أغوار هذه الحاشية، واستجلاء معالم القيمة العلمية التي أودعها الطيبي في طياتها، مبيناً كيف استطاع "فتوح الغيب" أن يكون جسراً معرفياً يربط بين بلاغة الزمخشري وعقيدة السلف، محققاً بذلك توازناً عزّ نظيره في المكتبة الإسلامية.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

1- التعريف بالحاشية :

إن حاشية «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» هي إحدى الحواشي العديدة التي ألفت حول تفسير جار الله الزمخشري المتوفى سنة 538هـ، المعروف بـ"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، فبعد قرنين من سجالات مذهبية، وصراعات كلامية، ومعارك فكرية، وما نتج عن ذلك، من ثراء في العلم، وتوسع في التأليف، بادر الإمام الطيبي إلى وضع حاشية متميزة حول الكشاف، أودع فيها اجتهاداته العلمية ونظراته الفكرية، كما ضمنها شروحات وتوضيحات لما جاء في الكشاف من غوامض ومشكلات، إضافة إلى انتقاداته الشديدة للبدع الاعتزالية، وذلك بأسلوب قوي فصيح.

2 – تسميتها :

لما عقد الإمام الطيبي العزم على تأليف هذه الحاشية حول تفسير الزمخشري استعظم الأمر واستشعر خطورته، رغم قدراته العلمية ومؤهلاته الثقافية، وهذا دأب علماء الإسلام المخلصين المتواضعين! ولكنه رحمه الله قد تغلب على هذه الرهبة بالرغبة والعزيمة. وقد صرح بذلك في مقدمة الحاشية حيث قال: "فإن من أراد عظيما خاطر بعظمته، ومن رام جسيما راهن بكريمته، ومن هاب خاف، ومن أحجم أخفق". ([1])

ومن الحوافز التي شجعت الطيبي على الإقدام على هذا العمل المهم: استخارته الله تعالى على عادة المسلمين، اقتداء بنبيهم عليه الصلاة والسلام. وقد بين ذلك في مقدمته بقوله: "وقد استخرت الله مع قلة البضاعة، وقصور الباع في الصناعة... ([2]) بعد تتبع مظان العلمين المختصين بالقرآن آونة من الزمان... ([3]) فإني رأيت– والله الواهب فيما يرى النائم– في أثناء الشروع أو قبيله أنه صلوات الله عليه وسلامه ناولني قدحا من اللبن وأشار إلي فأصبت منه، وناولته صلى الله عليه وسلم فأصاب منه وسميته "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب". ([4])

---

[1] – فتوح الغيب ص 3. ق 184، مخطوط الخزانة العامة، الرباط.

[2] – فتوح الغيب ص 4. ق 184، مخطوط.

[3] – فتوح الغيب ص 4. ق 184، مخطوط .

[4] – فتوح الغيب ص 4. ق 184، مخطوط.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

3 – دلالات العنوان :

من الواضح أن عنوان الحاشية قائم على نظام السجع، وذلك على غرار عادة المؤلفين المتأخرين في طريقة بناء عناوين الكتب على اختلاف موضوعاتها وفنونها. وهنا لا بد من استحضار الوظيفة الصوتية لبلاغة السجع باعتباره من المحسنات البديعية التي تجعل التراكيب والعبارات "حلوة المذاق، صافية على السماع طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، ويلذ سماعها على الآذان" ([1]) فكأن الطيبي رحمه الله أراد من خلال الطبيعة السجعية لعنوان الحاشية أن يجعل القارئ شديد الانتباه إلى موضوع كتابه، مع تشويقه إلى قراءته !

ومما نلمسه في العنوان كذلك، تلك النفحات الإيمانية والدلالات الصوفية النابعة من تواضع الإمام الطيبي ومن شدة عبادته وتدينه في حياته التي قضاها كلها في إخلاص النية لله تعالى.

ومن حيث الدلالة اللغوية لمادة "فتح" فان العلامة الراغب الأصفهاني يقول: الفتح إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان، أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح القفل، والغلق والمتاع نحو قوله تعالى " ولما فتحوا متاعهم" ([2]) { ولو فتحنا عليهم بابا من السماء} ([3]).

والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك ضروب ، أحدها: في الأمور الدنيوية كغم يفرج وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه ، نحو " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء" ([4]) أي وسعنا ، وقال: " لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض"([5]) أي اقبل عليهم الخيرات. والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك فلان فتح من العلم بابا مغلقا. وقوله « إنا فتحنا لك فتحا مبينا» ([6]) قيل عنى فتح مكة، وقيل بل عنى ما فتح على النبي من العلوم والهدايات..." ([7])

وهكذا، فحسب الإمام الطيبي، فان كل الإبداعات العلمية، والمواهب المعرفية إنما هي هبة من الفتاح العليم، نابعة من الفيوضات الربانية والقبسات الالاهية ، وصادرة من مشكاة الغيب ! فكأنه بنا

---

1 – يحي العلوي " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ج 3–ص21 دار الكتب العلمية ببيروت– سنة الطبع 1982.

2 – سورة يوسف:65.

3 – الحجر: 14.

4 – الأنعام: 44.

5 – الأعراف :.96

6 – الفتح : 1

7 – "معجم مفردات الفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني– الصفحة 414 دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة الأولى 1997.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

رحمه الله تعالى يشير إلى انه سيتحفنا في هذا الكتاب بما فتح الله تعالى عليه من أنوار معرفية قصد كشف الغطاء عما اكتنف تفسير الزمخشري من شكوك متقنعة بأساليب بيانية وزخاريف بلاغية !

4- توثيق نسبتها إلى الطيبي:

وأما فيما يتعلق بنسبة حاشية فتوح الغيب إلى الإمام الطيبي فمن اللافت للأنظار، أن كل من ترجم للطيبي إلا ويشير إلى مؤلفاته القيمة ومن بينها ". فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب". فهذا الإمام الطيبي نفسه يذكر هذه الحاشية في كتابه «الكاشف عن حقائق السنن» قائلا "لما كان من توفيق الله تعالى إياي وحسن عنايته لدي أن وفقت للاستسعاد بسعادة الخوض في الكشف عن قناع الكشاف توسلا به إلى تحقيق دقائق كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» ([1]) ومن الذين اثبتوا نسبة هذا الكتاب إلى الطيبي ابن حجر العسقلاني حيث يقول فيه "كان مقبلا على نشر العلم آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، شرح الكشاف شرحا كبيرا ([2]) كما نجد الإمام جلال الدين السيوطي يشيد بهذا الكتاب بقوله «وصنف شرح الكشاف» ([3]) ويقول فيه الحافظ الداودي (ت 945هـ) : "وشرح الكشاف شرحا كبيرا" ([4]) وبالنسبة للعلامة طاش كبرى زاده (ت 968 هـ) فانه يثني على هذا الكتاب بقوله: "ومن لطائف التفسير تفسير الطيبي وحاشية الكشاف للطيبي... وصنف شرح الكشاف ([5]). وأما حاجي خليفة (ت1067 هـ)فيقول " فتوح الغيب هو حاشية الكشاف للطيبي"([6]) ويقول إسماعيل باشا البغدادي "الطيبي شرف الدين الحسين...من تصانيفه فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية على الكشاف ([7]).

1 – "الكاشف عن حقائق السنن" ج 2 ص 368. مكتبة نزار مصطفى الباز . الطبعة الأولى 1997م .
2 – الدرر الكامنة (ج 68/2). طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . الهند . الطبعة الأولى 1931م .
3 – بغية الوعاة (522/1). مطبعة عيسى البابلي الحلبي بمصر . الطبعة الأولى 1964م
4 – طبقات المفسرين (146/1). دار الكتب العلمية بيروت . طبعة 1983م
5 – مفتاح السعادة (90/2). دار الكتب العلمية . بيروت . طبعة 1985م
6 – كشف الظنون (1260/1). طبعة دار الفكر . سنة 1982م
7 – هدية العارفين (285/5). طبعة استنبول سنة 1951م

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

كما أن الإمام الشوكاني (ت 1250هـ) يذكر هذا الكتاب بقوله :".. وحاشيته على الكشاف" ([1])، ثم إننا نجد من المحدثين الأستاذ رضا كحالة الذي يقول : " ومن تصانيفه فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب". ([2])

5 –زمن تأليفها:

يبدو من خلال ما جاء في ترجمة الإمام الطيبي، أن " التبيان في علم المعاني والبديع والبيان " هو أول مؤلفات الطيبي، وهذا الكتاب قد شرحه تلميذ الطيبي علي بن عيسى، سماه " حدائق البيان" وأتمه سنة 706هـ، وذلك حسب ما أورده حاجي خليفة ورجحه .([3]) وبخصوص حاشية فتوح الغيب فإنها قد جاءت بعد كتاب التبيان بدليل أن هذا الكتاب البلاغي يعد من المصادر البلاغية المعتمدة عند الطيبي في حاشيته على الكشاف، فقد أشار إلى ذلك بصريح العبارة: "ومن وقف على كتابنا المترجم بالتبيان، ظهر له من متم المعاني في باب الفصل والوصل عنوانها".([4])

وبعد فراغه من تأليف حاشية فتوح الغيب سارع مرة أخرى إلي استخراج الدقائق من السنة النبوية بعد إن استخرجها من القرآن الكريم بقوله": لما كان من توفيق الله إياي وحسن عنايته لدي ، أن وقفت للاستسعاد بسعادة الخوض في الكشف عن قناع الريب ... كان الخاطر مشغوفا بأن اشفع ذلك بإيراد بعض معاني أحاديث سيد المرسلين ." ([5])

6 –موضوع الحاشية:

إن أهم ما يشرف كتاب فتوح الغيب من حيث القيمة الموضوعية ، أنه حاشية على كشاف الزمخشري ، الذي بلغ القمة في البيان والذروة في التحليل البلاغي على مذهب الحجاج الكلامي و التأويل الاعتزالي.

---

[1] – البدر الطالع (156/1).دار المعرفة بيروت 1348 للهجرة .

[2] – معجم المؤلفين (53/4). مطبعة الترقي دمشق . 1957م

[3] – كشف الظنون (341/1).

[4] – فتوح الغيب ص 86.

[5] – الكاشف عن حقائق السنن (368/2).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ويعتبر شرف الدين الطيبي و القطب الشيرازي وسعد الدين التفتزاني من أعلام المدرسة الأعجمية الأشعرية ، الذين تناولوا الكشاف بالبحث المفصل و النقد العلمي على اختلاف مناهجهم و توجهاتهم الفكرية.([1]) و في هذا المجال لابد من الحديث عن مجموعة من القضايا المهمة عند الإمام الطيبي وهي:

1- أهمية التأليف في تفسير القرآن:

يوضح الطيبي في مقدمة الحاشية فضل التأليف في مجال علوم القرآن لكون "كتاب الله المجيد هو قانون الأصول الدينية ودستور الأحكام الشرعية، وهو المختص من بين سائر الكتب السماوية بصفة البلاغة التي تقطعت عليها أعناق العتاق ، و ونت عنها خطا الجياد في السباق" ([2]) .

2- ثناء الطيبي على كشاف الزمخشري:

رغم أن الطيبي أشعري العقيدة ، فانه لا يبخس الزمخشري المعتزلي مكانته العلمية ، وهذا شأن العلماء المنصفين! وهكذا نجد الطيبي يشيد بتفسير الكشاف ويصرح بإعجابه الكبير بالقدرات البلاغية لمؤلفه، قائلا:" فالموفق من العلماء الأعلام ، وأنصار ملة الإسلام من كانت مطامح نظره الجهات التي تضمنت لطائف النكت المكنونة، واشتملت على أسرار المعاني المصونة. فلم يوفق لتصنيف أجمع لتلك الدقائق، وتأليف انفع لدرك تلك الحقائق وأكشف للقناع عن وجه إعجاز التنزيل، واعون من مداحض الكلام على تعاطي التفسير والتأويل إلا الحبر الهمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري- شكر الله سعيه- إذ مصنفه " الكشاف عن حقائق التنزيل" مصنف لا يخفى مقداره ولا يشق غباره، اتضح بيانه وأضاء برهانه، وعمت أضواؤه، وانجلت سماؤه لغرر الأفكار في بحار عباراته، ولا تنتهي الأوهام إلى ساحل إشاراته، هزت أريحيته من أعطاف الفضلاء، لاعتلاء ذروته الشامخة، وابتغاء غاياته الباذخة، فكل غاص في تياره لاستخراج درر المعاني أبهج من نيل الأماني.." ([3])

3- الهدف العلمي من تأليف الحاشية:

إذا كان العامل المذهبي المتمثل في الدفاع عن المذهب الأشعري السني ضد المذهب المعتزلي، من دوافع الطيبي لتأليف هذه الحاشية ، فان هناك دافعا آخر، وهو الشرح العلمي لمضامين الكشاف حيث

---

[1] - ابن عاشور "التفسير ورجاله" ص 86. مجمع البحوث الإسلامية . طبعة 1970م

[2] - فتوح الغيب ج 2/ص 241.

[3] - فتوح الغيب ج 2 ص 242.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يبين الطيبي هذا الأمر بقوله في المقدمة : "فقد استخرت الله تعالى مع قلة البضاعة وقصور الباع في الصناعة لتصدي شرح مجمله، وحل معضله، وتلخيص مشكله، وتخليص مبهمه ، وفسر عويصه، وفك عقوده الموربة وتبيين قيوده المكربة، وانتهاء إحراز قصبات عيون التقارير للعلماء النحارير ، وخلاصة أفكار المحققين ،و تفاوت أقطار المتبحرين المتقدمين منهم و المتأخرين، لتسهيل وعره ، وتيسير صعبه... و على نكات علم أصول الدين فقهه و كلامه ، واستنباط فروعه وأحكامه، ولم آل جهدا في جهات المنقول ، سيما استناد الأحاديث إلى الأصول ، و انتساب القراءات المشهورة و الشاذة، و بيان وجوهها وكشف ستورها... ولم أقتصر على ذلك، بل جمعت معارضات علماء المشرق و فضلاء المغرب، وتجنبت التعصب في الرد إلا في ما لم يساعد عليه النص القاهر و النظم الباهر". ([1])

وبهذا الاهتمام الفائق بتفسير الزمخشري ، يكون الكشاف قد "دخل مباشرة في صميم الثقافة الإسلامية ، و علا نجمه في القرن الثامن الهجري بإقبال أعلام من المدرسة الأشعرية مثل شرف الدين الطيبي و القطب الشيرازي و سعد الدين التفتا زاني فأصبح يومئذ ركنا ركينا في هيكل التخرج الإسلامي."([2])

7- شهادات العلماء حول حاشية فتوح الغيب:

ومن العلماء الذين أشادوا بالقيمة العلمية لحاشية الطيبي، وسجلوا انطباعاتهم الشخصية حول هذا الكتاب، نذكر:

1- ابن خلدون: إذ نجده يثني على شرح الطيبي للكشاف أثناء حديثه عن علم التفسير ومصادره قائلا : "ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا، وتتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال وأدلته، يزيفها، ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما تراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، وفوق كل ذي علم عليم" ([3]).

[1] - فتوح الغيب ج 2 ص 243.
[2] - التفسير ورجاله ص 86.
[3] - مقدمة ابن خلدون ج 1/ 440 دار القلم بيروت 1984 الطبعة الخامسة.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2- ابن حجر العسقلاني: فهو يقول:" وهو شرح حسن كبير، أجاب عما خالف فيه الزمخشري أهل السنة بأحسن جواب، يعرف فضله من طالعه." ([1])

3- الامام الشوكاني: إذ يقول:"وحاشيته على الكشاف، وهي أنفس حواشيه على الإطلاق، مع ما فيها من الكلام على الأحاديث في بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين، مما يدل على ارتفاع طبقته في علمي المعقول والمنقول ". ([2])

4- حاجي خليفة : حيث يقول أثناء حديثه عن حواشي الكشاف:

« وهي أجل حواشيه في ست مجلدات ضخامات ». ([3])

5- الإمام الأدنروي: وهو أحمد بن محمد الأندراوي من علماء القرن الحادي عشر، صاحب "طبقات المفسرين" إذ يقول "وحاشيته المذكورة على تفسير الكشاف هي من أجل الحواشي، حتى قال بعض الفضلاء لا ينبغي أن يقرأ الكشاف إلا مع حاشية الطيبي، وهي في ست مجلدات ضخام" ([4]).

6- مصطفى صادق الرافعي: إذ نجده يقول في سياق ثنائه على القيمة البلاغية لحاشية الطيبي على الكشاف: "فتأمل كيف تتصرف بلاغة القرآن مع أهل السنة والمعتزلة مجاذبة ودفعا، فانه معنى عجيب".([5])

7- الشيخ العلامة مصطفى المراغي: حيث قال في معرض كلامه عن حاشية الطيبي: " وشرح الكشاف وهو عمدة المتأخرين من بعده كأبي السعود العمادي والألوسي.." ([6])

8- الدكتور محمد أبو موسى: ففي سياق حديثه عن شروحات وحواشي الكشاف يشير إلى القيمة البلاغية لحاشية الطيبي بقوله : «ففي مقدمة من عنوا بالبحث البلاغي العلامة شرف الدين حسن ابن محمد الطيبي المتوفى سنة 743 هـ ، فقد كتب حاشيته على الكشاف سماها فتوح الغيب في الكشف

---

1 - الدرر الكامنة ج 99/2.

2 - البدر الطالع (56/1).

3 - كشف الظنون (1488/2).

4 - طبقات المفسرين (277/1). تحقيق الدكتور سليمان بن صالح الخزي مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة ط1- 1997.

5 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص 255 – دار الكتاب العربي بيروت ط 9 -1973.

6 - تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص 136.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

عن قناع الريب ف ست مجلدات ضخمات » ([1]) كما أكد « أن تحقيقات الطيبي في حاشيته أدق من تحقيقاته في التبيان ولم نقرأ حاشية على الكشاف أفضل منها، وان كانت لا تزال مخطوطة» ([2])

8- تأثير الطيبي فيمن أتى بعده من البلاغيين:

من البلاغيين الذين تأثروا بمؤلفات الطيبي وبآرائه البلاغية نجد مجموعة من العلماء في هذا المجال. ومن هؤلاء نذكر:

1- بهاء الدين السبكي (ت 773هـ):

حيث يقول في مقدمة كتابه" عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح": "وأعلم أنني لم أضع هذا الشرح حتى استعنت عليه بنحو من ثلاثمائة تصنيف وأنه تضمن الخلاصة من مائة تصنيف في هذا العلم، منها ما وقفت عليه ومنها ما وقفت على كلام من وقف عليه.. واني اختصرت فيه أكثر من خمسين مصنفا في علم البلاغة وقفت عليها لم أترك منها إلا ما هو خارج عن هذا العلم أو قليل الجدوى فيه. أو شواهد لا حاجة لها لكثرتها أو ما زاغ البصر عنه أو ما ان تأملته علمت أنه فاسد لا ترضيه ومن ذلك دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر.. والتبيان للشيخ شرف الدين الطيبي وشرحه له" ([3]) .

كما أن السبكي يأخذ من الطيبي بعض أرائه في حاشيته على الكشاف، ففي سياق حديث السبكي عن بلاغة القصر في قوله تعالى "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"، ([4]) يقول: "قال الزمخشري..: معناه لا يقول إلا الحق ولا يهدي إلا سبيل الحق. قال الطيبي: أما دلالة وهو يهدي السبيل فظاهر لأنه على منوال أنا عرفت. وأما والله يقول الحق فلأنه مثل "الله يبسط ([5]) وهو عنده يفيد الحصر..".([6])

---

[1] - « البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري » ص 97 – مكتبة وهبة القاهرة- الطبعة 2، 1988.

[2] - « دلالات التراكيب » ص 279 مكتبة وهبة – القاهرة ط 2 1987 .

[3] - « عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح » ج 1 ص 156-159 تحقيق خليل ابراهيم خليل دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى 2001.

[4] - سورة الأحزاب الآية 4 .

[5] - الرعد 26.

[6] - عروس الأفراح ج 2/ص 499 .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وفي باب الإيجاز والإطناب يتحدث السبكي عن وجوه فضل قوله تعالى { ولكم في القصاص حياة}. ([1]) فيظهر أن هذه الآية أبلغ من قولهم: القتل أنفى للقتل، ويقول: "السادس عشر أنها رادعة عن القتل والجرح، قاله الإمام فخر الدين وغيره، والضرب قاله الطيبي" ([2])

وفي معرض حديث السبكي عن الاستعارة المرشحة في قوله تعالى {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم} ([3]) يذكر رأي الطيبي باشتمال هذه الاستعارة على الترشيح والتجريد بقوله «فانه استعير الشراء للاختيار فرشح بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الشراء. وقال الطيبي إنه اجتمع في هذه الآية الكريمة الترشيح والتجريد فالترشيح في قوله تعالى «اشتروا» والتجريد في قوله تعالى "وما كانوا مهتدين".([4]) ([5])

2- أبو جعفر الغرناطي (ت 779هـ):

شرح أبو جعفر الغرناطي بديعية صاحبه ابن جابر الأندلسي المسماة "الحلة السيرا في مدح سيد الورى" وسمى شرحه "طراز الحلة وشفاء الغلة" وقد قدم بين يدي شرحه مسائل خمسا فالمسألة الأولى في البديع لغة واصطلاحا والثانية في الفرق بين الفصاحة والبلاغة والثالثة في مكان البديع من أخويه المعاني والبيان وأنه منهما بمنزلة المركب من المفرد والرابعة في تقسيم أنواع البديع بحسب اللفظ والمعنى والخامسة في بيان أن البديع أحد علوم الأدب الستة وهي اللغة والتصريف وعلم العربية والمعاني والبيان والبديع([6]). وقد ذكر رأي الطيبي في ثلاث مسائل من هذه الخمسة، حيث أشار إليه في المسألة الثانية عند حديثه عن الفصاحة والبلاغة والفرق بينهما، وفيها يؤكد أن الطيبي يجعل بيت الفرزدق ([7]):

وما مِثْلُهُ في النَّاسِ إلا مُمَلَّكًا * أبو أمِّهِ حَيٌّ أبوهُ يُقَارِبُهُ

---

[1] - البقرة: 179.

[2] - عروس الأفراح ج 3/ص 106 .

[3] - البقرة: 16.

[4] - البقرة: 16.

[5] - عروس الأفراح ج 3 / 287.

[6] - انظر مقدمة التبيان في البيان للطيبي بتحقيق عبد الستار زموط ص 187 -188 – 189.

[7] - ديوان الفرزدق، شرح علي فاعور. دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

نموذجا للتعقيد المعنوي، ويجعل التعقيد اللفظي فيما يحدث من الثقل من توالي المضاعفات والضمائر والصفات والأفعال من غير عطف وتكرار الألفاظ. ([1])

وفي المسألة الثالثة يذكر أبو جعفر أن توالي الصفات هو خامس أقسام التكرار المؤدي إلي الثقل متابعا الطيبي في رأيه بشكل صريح.([2]) وفي المسألة الرابعة ينقل إلينا رأي الطيبي في تقسيم أنواع البديع بحسب اللفظ والمعنى فما كان متعلقا بالمعنى أو بالمعنى واللفظ معا فهو من باب البلاغة، وما كان متعلقا باللفظ فقط فهو من باب الفصاحة([3]).

3- جلال الدين السيوطي (911 هـ) :

يظهر تأثير الطيبي في علم البلاغة عند الإمام السيوطي بشكل واضح من خلال ألفيته المشهورة ب "عقود الجمان في علم المعاني والبديع والبيان" وهي منظومة ألفية في علوم البلاغة حيث إن السيوطي يذكر اسمه مباشرة ويذكر أراءه البلاغية في بعض الأبيات. ومن أمثلة ذلك قوله: ([4]) .

بها كفاعل ومفعول بها # مضى وفي أخلتَ المنتمى

قلت وذا الحكم لغيرها استقر # كذا في العروس والطيبي ذكر

وقوله أيضا: والطرد والعكس قريب منه # حرره الطيبي فابحث عنه([5]).

ويقول السيوطي في شرحه لهذه الألفية: «ومثله الطيبي في التبيان بقوله: قلت عليل ([6]) كما نجده يقول أيضا: "ومثله الطيبي ([7]) بقوله تعالى" فذلك الذي يدع اليتيم » ([8]) كما نجد الإمام السيوطي يسجل ارتياحه لتمثيل الطيبي للإيجاز الجامع بالآية الكريمة" إن الله يأمر بالعدل والإحسان" ([9]). وأثناء

---

[1] – التبيان ص 188.
[2] – التبيان ص 189.
[3] – التبيان ص 189.
[4] – شرح عقود الجمان للسيوطي ص 49. طبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، 1954.
[5] – شرح عقود الجمان ص 133.
[6] – شرح عقود الجمان ص 14.
[7] – شرح عقود الجمان ص 17.
[8] – سورة الماعون : 2.
[9] – النحل: 90.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

حديث السيوطي عن التكرير قسمه إلى الأنواع التي ذكرها الطيبي ومن هذه الأنواع الترجيع مصرحا بنقله من الطيبي. ([1])

4- علي بن معصوم المدني(ت 1117هـ):

وهو من أعلام البلاغة والبديع كما يثبت الدكتور شوقي ضيف، ([2]) وقد اشتهر بكتابه القيم الذي سماه "أنوار الربيع في أنواع البديع" وهو شرح موسع لمنظومته البديعية. وفي هذا الكتاب يشير كثيرا إلى الإمام الطيبي والى أرائه البلاغية. ومن أمثلة ذلك رده على جلال الدين السيوطي بأن الطيبي قد سبقه في مسألة البديع المسمى "القول الموجب" حيث يقول : "قال الحافظ السيوطي: ولم أر من أورد لهذا الضرب مثالا من القرآن وقد ظفرت بآية منه وهي قوله تعالى {ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم } ([3]) وسبقه الى ذلك الطيبي" ([4]).

وفي سياق حديثه عن تعريف «التطريز"، وهو من ألوان البديع، يذكر تعريف الطيبي لهذا النوع البديعي قائلا: {التطريز في اللغة مصدر طرزت الثوب إذا جعلت له طرازا أي علما، وهو معرب، وثوب مطرز بالذهب وغيره، أي معلم. وفي الاصطلاح يطلق على معنيين أحدهما: أن يؤتى في الكلام بمواضع متقابلة كأنها طراز، هكذا عرفه الطيبي...}([5])

5- العلامة أحمد الطرودي التونسي (ت 1167هـ):

ففي كتابه "جامع العبارات في تحقيق الاستعارات" نجده كثير الرجوع الى شرف الدين الطيبي، والى آرائه البلاغية، ومثال ذلك قوله:" وأقول في شرح الإمام الطيبي طيب الله ثراه عند قول العلامة الزمخشري في ديباجة الكشاف "ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح" ما نصه: القرائح جمع قريحة، وهي أول ما خرج من ماء البئر. فاستعمل في محله، ثم استعير لطبيعة من حيث صدور العلوم منها كالماء للبئر، يقال: لفلان قريحة، ويراد منه أنه مستنبط للعلوم.. فتفسير الطيبي مطابق لما في القاموس..» ([6])

---

[1] – شرح عقود الجمان ص 73 .

[2] – البلاغة تطور وتاريخ ص 364. دار المعارف . القاهرة . 1984م .

[3] – التوبة: 61.

[4] – « أنوار الربيع في أنواع البديع » ج 2/ص 200 . تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان– العراق– الطبعة الأولى.

[5] – « أنوار الربيع في أنواع البديع » ج 5/ص 342.

[6] – جامع العبارات ص 512-513 تحقيق ودراسة محمد رمضان الجربي دار الجماهيرية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1986.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وفي قوله تعالى{أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى} ([1]) يذكر الطيبي ورأيه البلاغي قائلا: {وقال الطيبي طيب الله ثراه: قوله كان ثمة مبايعة على الحقيقة، يعني سلمنا أن الشراء على المجاز لقرينة استعمال بالضلالة معه ، فما تصنع بقوله {ربحت تجارتهم}،([2]) فانه لا يقرن إلا بالشراء الحقيقي كأن بين إرادة المجاز وبين هذا التقريع منافاة".([3]) .

[1] - البقرة 16.

[2] - البقرة 16.

[3] - جامع العبارات ص476.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

خلاصة واستنتاج:

في ختام هذه الجولة العلمية في رحاب حاشية الإمام شرف الدين الطيبي (ت 743هـ) على "الكشاف" للزمخشري، نخلص إلى أن كتاب "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" لم يكن مجرد حاشية تضاف إلى سيل الحواشي التي أحاطت بمتن الزمخشري، بل كان مشروعاً علمياً متكاملاً، أعاد صياغة العلاقة بين النص المعتزلي المبدع وبين التصور السني المنضبط، محققاً بذلك توازناً عزّ نظيره في تاريخ التأليف الإسلامي.

ومن خلال سبر أغوار هذه الحاشية، يمكننا تقرير النتائج التالية التي توصلت إليها الدراسة:

1. العبقرية المنهجية: أثبتت الدراسة أن الطيبي امتلك "منهجاً استقصائياً" فريداً؛ فهو لا يكتفي بشرح المفردات أو توضيح التراكيب، بل يغوص في "نظم الجملة" مستدعياً علوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة لخدمة الدلالة القرآنية، مما جعل حاشيته مرجعاً لغوياً قبل أن تكون تفسيرياً.

2. الانتصار العقدي الراقي: نجح الطيبي في تفكيك "الألغام الاعتزالية" التي بثها الزمخشري بذكاء في ثنايا الكشاف. ولم يكن رد الطيبي مجرد شعارات عقدية، بل كان رداً "بنيوياً" يستخدم أدوات الزمخشري البلاغية نفسها لإثبات صحة معتقد أهل السنة، وهو ما يُعد ذروة التمكن العلمي.

3. الأصالة في الإضافة: تبين أن الطيبي لم يكن عالة على من سبقه، بل أضاف "نكاتاً" بلاغية واجتهادات لغوية لم تُسبق، وهو ما يفسر اعتماد المتأخرين كالإمام البيضاوي في "أنوار التنزيل" عليه بشكل شبه كلي في المسائل الدقيقة.

4. القيمة العلمية والأثر التاريخي : إن القيمة العلمية لـ "فتوح الغيب" تتجاوز مجرد فك عبارات الكشاف؛ فهي تمثل "مدرسة نقدية" متكاملة فلقد استطاع الطيبي أن يجعل من الحاشية فضاءً للحوار المعرفي بين المذاهب، محولاً الصراع الكلامي إلى ثراء بلاغي. وهذا ما جعل من "فتوح الغيب" القنطرة التي عبرت من خلالها كنوز الكشاف إلى التفاسير المتأخرة، بعد أن نُقِّيَت وصُفِّيَت في مصفاة الطيبي الدقيقة.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/